الجامعة العر اقية
كلية الاعلام - قسم الصحافة
Shatha_hadi@aliraqia.edu.iq

اثر اللغة العربية في وحدة المجتمع

شذى جاسم هادي
Shatha Jasim Hadi

الملخص:

تهدف الدراسة الى بيان اهمية اللغة العربية في الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع من خلال اداء دورها كاداة ربط بين الاجيال، والكشف عن عادات وتقاليد المجتمع ومستوياته الثقافية. اذ تمثلت مشكلة الدراسة في أن اللغة العربية تعاني الآن ضعفا ملحوظا ، وهذا نتيجة للمحاولات التي تقوم بها قوى الغزو الثقافي لإضعاف الأمة العربية الإسلامية، فاللغات تتقدم وتتأخر مثلها في ذلك مثل الأمم نفسها، بل إن تقدم اللغات وتأخيرها يكاد يساير ويوازي تقدم الأمة وتأخيرها. وقد تناولت الباحثة في اطار الدراسة النظري مفهوم اللغة، وقدم اللغة من قدم ابنائها، وفي كون اللغة العربية بنية ذهنية ونفسية، فضلا عن ثنائية اللغة- الامة، ومن ثم الصراع اللغوي، واللغة والمجتمع، والعناية باللغة ضرورة للحفاظ على هوية الامة ووحدتها، واختتمت الدراسة في دور اللغة العربية في وحدة الامة، وبناء الحضارة العربية الاسلامية. ومن اهم الاستنتاجات التي توصلت اليها الدراسة هي ان للغة العربية اهمية كبيرة في توحيد الامة، وحفظ كيانها، والحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه من خلال اداء دورها كاداة ربط بين الاجيال والكشف عن عادات وتقاليد المجتمع.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، وحدة المجتمع.

Abstract

The study aims to demonstrate the importance of the Arabic language in maintaining the unity and cohesion of society by performing its role as a tool linking generations, and revealing the customs and traditions of society and its cultural levels. The problem of the study was that the Arabic language is now suffering from a noticeable weakness, and this is a result of the attempts made by the forces of cultural invasion to weaken the Arab Islamic nation. Languages advance and fall behind, just like the nations themselves. In fact, the progress and delay of languages is almost parallel to the progress and delay of the nation. Within the framework of the theoretical study, the researcher addressed the concept of language, the precedence of language as its sons, and the fact that the Arabic language is

a mental and psychological structure, as well as the bilingualism of the nation, and then the linguistic conflict, language and society, and taking care of the language is necessary to preserve the nation's identity and unity, and the study concluded. On the role of the Arabic language in the unity of the nation and building the Arab-Islamic civilization. One of the most important conclusions reached by the study is that the Arabic language has great importance in unifying the nation, preserving its entity, and preserving the unity and cohesion of society by performing its role as a tool linking .generations and revealing the customs and traditions of society

Keywords: Arabic language, community unity

المقدّمة:

اللغة العربية هي اللغة التي قدر لها بفضل الله عز وجل أن تستمر وتدوم، ولا عجب فهي لغة القرآن الكريم، حفظت بحفظه إلى يوم الدين، قال تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» ومع أن اللغة العربية لغة العرب قاطبة، إلا أنها لغة عالمية يتكلم بها المسلمون في شتى بقاع العالم، فقد كانت اللغة العربية منذ الأزل لغة الفصحاء والبلغاء والخطباء يتباهون فيها في شتى مناسباتهم لا سيما عند اعتلاء المنابر، اذ تظهر القدرة البلاغية والبيانية من خلال منابرهم، ومع سطوع فجر الإسلام، والقضاء على الجهل والكفر والعصيان استمر الازدهار بل واستطاعت أن تتبوا المنزلة الأرفع والأسما، اذ تمكنت من مواكبة كافة العصور بسبب مرونتها وسعتها وقدرتها على ملاءمة العصر الذي تعيش فيه، فاخذت بفضل الله عز وجل المكانة الواسعة إلى أن وصلت لعصرنا الحالي، الذي يعد عند بعض الجهات عصر الجمود والركود، اذ أخذت جهات معينة من الأدباء والمثقفين تنادي بعزلها والابتعاد عنها، ويرجع السبب على وفق رأيهم إلى أنها غير قادرة على مواكبة تطورات العصر المتسارعة فكل ما سنحاول قوله هنا هو تأكيد أهمية اللغة العربية، وأن الله تعالى هيأ لها سبل البقاء والقوة، وكرمها بأنها لغة القرآن الكريم.

واللغة العربية هي لغة القرآن؛ قال تعالى "الر تلك ايات الكتاب المبين (1) إنا أنزلناه قرانا عربيًا لعلكم تعقلون (2) نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحيْنَا إِلَيْكَ هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين (3). وقد تكررت (قرآنا عربيا) في القرآن الكريم ثماني مرات في الآيات والسور الآتية (يوسف 2 ، الرعد 37 ، طه 113 ، الزمر 28، فصلت 3، الشورى 7، الزخرف3 ، الأحقاف 12) كمؤشر توكيدي لنا لنبقى على عربيتنا، حفظا لكتابه تعالى، وتنبيها لأهميتها ومكانتها عند الله عز وجل.

إن وجود امة قائمة ذات شخصية متميزة وكيان مستقل، وذات تقاليد وأعراف وطبائع نفسية وسلوكية مرتبط ومرتين بالحفاظ على لغتها، وديمومتها ومحاذ لمستويات ازدهارها وضعفها؛ فحين تفقد الأمة لغتها الأصلية وتهيمن عليها لغة أخرى غير لغتها وان ما يحدث هو أن نجد بعد مدة من الزمن أمة أخرى لها كيانها وخصائصها التي تختلف عن تلك الأمة الأولى، فكلاهما امتان مختلفتان وإن كانتا في الأصل أمة واحدة سابقة في الموطن الجغرافي والسلالة البشرية، وينطبق هذا إلى حد كبير على أفراد الجيل الذين يطرأ عليهم هذا التغير اللغوي ويعيشون في عصرين مختلفي اللغة، فهؤلاء وإن كانوا جيلاً واحداً، إلا أنهم يصح القول عنهم إنهم كانوا في اللغة الأولى أناساً مختلفين عما هم عليه الآن من غير نسيان لما للبيئة ولغتها من تأثير في وضعهم الجديد.

واللغة ذات دلالة وسمة للأمة الناطقة بها، ودليل نفسيتها وعقليتها، وهي أسارير الوجه في كيانها الاجتماعي الحاضر، وفي تطورها التاريخي الغابر، لأن وراء كل لفظة في المعجم معنى شعرت به الأمة شعوراً عاماً دعاها للإعراب عنه بلفظ خاص، فوقع ذلك اللفظ في نفوس جمهورها موقع الرضى، وكان بذلك من أهل الحياة، وما معجم اللغة إلا مجموعة من المعاني التي

احتاجت الأمة للتعبير عنها، فاختارت لكل معنى لفظاً يدل على الجهة التي نظرت الأمة منها لذلك المعنى حين سمته باللفظ الذي اصطلحت عليه، فلغة الأمة تتضمن تاريخ أساليب التفكير عندها من أبسط حالاته إلى أرقاها يعلم ذلك البصير في أبنية اللغة وتلازمها، ومن له ذوق دقيق في ترتيب تسلسلها الاشتقاقي.

فإن اللغة - أي لغة - تربط بين أبنائها الناطقين بها، فهي جسر التواصل فيما بينهم، بها يتفاهمون، وعن طريقها يتواصلون، ويَرْوُون أدبهم، ويعرفون تاريخهم، وبخطها يحفظون تراثهم، ويُخلدون مآثرهم، فيعتزون ببطولاتهم وانتصاراتهم، وبهذا تحفظ اللغةُ وِحْدَة المجتمع على مستوى المكان والزمان ولا يقف الأمر عند هذا الحد، فالأمم المختلفة تعمل كل واحدة منها على انتشار لغتها، وكثرة عدد الناطقين بها؛ لتحقق لنفسها نفوذاً ماديا ومعنويا، ويرجع سبب ذلك إلى ما تحوزه اللغة من أهمية كبيرة لا يستطيع أحد أن ينكرها. فاللغة – أي لغة - هي المعبرة عن شخصية المجتمع الناطقة بها، تَصِفُ حاضرهم مِنْ تَقَدُّمٍ ورقي، أوْ تَخَلْفٍ وانحطاط، وتُسَجِّل آمالهم وآلامهم، فلا عجب أن تكون اللغة هي المعبرة عن ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها(1).

اولا - منهجية الدراسة:

1 - مشكلة الدراسة:

تعد اللغة العربية أحدى أهم الركائز في تشكيل الهوية العربية الإسلامية، لأنها لغة هذه الأمة من الاف السنين ولغة القرآن الكريم دستور هذه الأمة وإن إضعافها أو هدمها يعني إضعاف وهدم إحدى ركائز المجتمع العربي الإسلامي الأساسية ومما لا شك فيه أن اللغة العربية تعاني الآن ضعفا ملحوظا ، وهذا نتيجة للمحاولات التي تقوم بها قوى الغزو الثقافي لإضعاف الأمة العربية الإسلامية، فاللغات تتقدم وتتأخر مثلها في ذلك مثل الأمم نفسها، بل إن تقدم اللغات وتأخيرها يكاد يساير ويوازي تقدم الأمة وتأخيرها؛ فهناك علاقة جدلية صحيحة بين حضارة الأمة ومكانة اللغة ومن أهداف التعليم العامة غرس الإيمان بالله ورسوله والقيم الروحية والاعتزاز بالعروبة والأمة الإسلامية؛ إعداد الإنسان العربي للمستقبل متسلحاً بالعلم والتكنلوجيا، متمسكا بالقيم والثوابت السابقة.

2- اهمية الدراسة:

تعد اللغة العربية من دون سائر اللغات الإنسانية تذخر برصيد وافر من المفردات، وتتسع إمكاناتها للتعبير عن المفاهيم المتجددة من خلال آليات ذكية مثل الاشتقاق والنحت لصياغة مفردات جديدة . أما اللغات الأخرى، فهي ذات رصيد محدود من المفردات، وتقل بها إمكانية الاشتقاق والنحت، مما يجعلها تعتمد كلياً على الاقتراض من اللغات الأخرى. واللغة العربية لا تكتفي بالتعبير عن المفاهيم المختلفة بدقة فحسب، بل تسعى لتحقيق ذلك من خلال تطبيقها على معايير الجودة الشاملة ، وإتباع مسالك الإحسان والإتقان، اذ تقدم تلك المفاهيم في أطر جمالية أخاذة، وصور بلاغية رائعة تحقق الفهم والإمتاع معا، وتكسر حاجز الرتابة، وتثري الفكر والوجدان .هذه السمات المثالية وغيرها من الميزات تضع اللغة العربية في مقدمة اللغات المعاصرة وترشحها لأن تكون اللغة التي يبحث عنها علماء اللغة المحدثون لاتخاذها لغة كونية مشتركة لسائر بني الإنسان(2) .

تكمن اهمية الدراسة في توضيح اهمية اللغة العربية، وضرورة الحفاظ عليها من اجل وحدة المجتمع.

3 - اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى بيان اهمية اللغة العربية في الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع من خلال اداء دورها كاداة ربط بين الاجيال، والكشف عن عادات وتقاليد المجتمع ومستوياته الثقافية.

ثانيا- الاطار النظري للدراسة:

1 - مفهوم اللغة:

تعد اللغة هي أداة التفاهم والتعبير وهي من عناصر الترابط بين أفراد المجتمع، فضلاً عن أنها تمثل صورة السلوك الإنساني الشاملة والتي تنطوي على الاتصال الرمزي، وتتصف اللغة البشرية بالتعبير عن المشاعر والأفكار وأستقبالها عن طريق الرموز اللفظية، وتتميز تلك اللغة بعدد من الخصائص منها الجانب الصوتي، وجانب الدلالات فضلاً. عن جانب التركيبات والجانب الوظيفي(3).

عرف الإمام أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 ه)، اللغة بانها لغة إنسانية من دون النظر إلى جنسية الناطقين بها، اذ ذهب ابن جني إلى أن حد اللغة (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)(4). وهذا التعريف جاء وافيا، لأنه اشتمل على أهم العناصر التي يجب توافرها، كي يستطيع الإنسان تصور اللغة، وفهم طبيعتها، وهذه العناصر هي: (5)

أ-صوتية اللغة: فاللغة في صورتها المادية ما هي إلا نظام من الأصوات التي يصدرها جهاز النطق الإنساني، وهذه الأصوات - من دون شك - أسبق وجوداً من الرموز الكتابية، التي استعملها الإنسان لنقل الأفكار عبر المسافات المكانية والزمانية.

ب-أن اللغة الإنسانية ظاهرة اجتماعية: فلا يتصور وجود لغة إلا في مجتمع، به تنشأ وتحيا، وهذا التعريف أبرز الجانب الاجتماعي للغة حين نص على أنها يعبر بها كل " قوم " أي جماعة، فهي أداة قومية اجتماعية في طبيعتها ووظيفتها.

ت-وظيفة اللغة: فاللغة الإنسانية لها وظيفة محددة، فليست مجرد أصوات لا فائدة من ورائها، والتعريف الذي معنا أبرز الوظيفة الأساسية للغة وهي: التعبير عما في النفس، أي: إبرازه ونقله من داخل النفس إلى خارجها، وهذا التعبير إنما يكون عن " الأغراض " التي في النفس والأغراض هي الأهداف المقصودة، فلا يعتد في اللغة إلا بالأصوات التي قصد بها التعبير عما في النفس.

2 - قدم العربية من قدم أبنائها:

تعد اللغة جزءاً من بنية الكون وهي ملك لجميع أبنائها، إذ تلازم الإنسان منذ طفولته، حتى يتصور وكأنها تطور بيولوجي طبيعي أشبه بالأكل والشرب والمشي والنوم. ومفهومها يستوعب كل ما له صلة بفعل الكلام، أو من خلال وضع الكلمة في عملية الخطاب". وهي صورة لحياة الأمة بتقاليدها واتجاهاتها الدينية والاجتماعية وبجميع نظمها، وهي التي تقرر نظرة الإنسان للعالم : إذ إنها مرتبطة بالثقافة ارتباطاً وثيقاً ، كما أنها تتصل بخصوصية البشر وطبيعة العقل؛ لأن الإنسان يحدد باللغة والعقل، ومن دون لغة لا يمكن للعقل أن يوجد . ويرى علماء اللغة والاجتماع أن " للغة نشأتان : نشأة حينما أخذ الإنسان يلفظ أصواتا مركبة ذات مقاطع وكلمات متميزة للتعبير عما يجول بخاطره من معان وما يحسه من مدركات، ونشأة حينما يشرع الطفل يقلد أبويه والمحيطين به فيما يلفظونه من مفردات وعبارات فتنتقل إليه لغتهم عن هذا الطريق . على أن كثيراً من هؤلاء العلماء لم يعرفوا أو يتيقنوا على أية صورة ومتى وأين ابتدأ الكلام الإنساني على الرغم من وجود افتراضات عديدة في هذا الموضوع "(6).

وعلى الرغم من أن الباحثين في مسألة نشأة اللغة الإنسانية لم يصلوا – على وجه اليقين- إلى تحديد كيف نشأت، وعلى أية صورة نشأت، إلا أن أحداً لا ينكر أهمية اللغة بالنسبة للإنسان، بل ؛ للإنسانية كلها، "لأن البحث في اللغة هو بحث في الإنسان نفسه"(7).

3 - اللغة العربية بنية ذهنية ونفسية:

ان للغة علامة فردية مميزة فهي كذلك علامة(طبقية) مميزة ففي الجماعة الكلامية الواحدة تختلف لغة المتعلمين عن لغة الأميين: والمتعلمون يختلفون لغة فيما بينهم باختلاف درجة تعلمهم، وباختلاف مهنهم وباختلاف درجة تراثهم وبسوى ذلك من الأسباب. ولغة الصيادين تختلف عن لغة النجارين وعن لغة الحدادين .. الخ. وكل من هذه تختلف عن لغة طلبة المدارس مثلا أو عن لغة الموظفين الحكوميين الخ . ولغة المسيحيين في جماعة كلامية ما تختلف عن لغة من يدينون بالإسلام أو اليهودية مثلا من أفراد الجماعة الكلامية نفسها، فضلا عن مباينة لغة كل فرد من أفراد كل طائفة من هذه الطوائف للغة أي فرد آخر من أفراد الطائفة نفسها. ان سماع فرد من الأفراد وهو يتكلم لقاض بمستواه العقلي، والمالي، والمادي، وبصفته

الطائفية والمهنية الخ. وهكذا فاللغة قيد من القيود ، أو هي أشبه ، مع شيء من الفارق ببصمات الأصابع، أو بالزي(8).

4 - ثنائية اللغة – الأمــة:

نحن أمام ثنائية استكمالية يعين كل طرف فيها الآخر، وعنوان هذا البحث يستنفر القول حول جملة من العوامل التي تفرض نفسها في سياقه وهي واسعة ومتشعبة، كما هي متقاطعة إلى حد التطابق. والسؤال الأكثر أهمية فيها :هو هل يمكن البحث في مجالي اللغة والمجتمع في مكانين مختلفين؟ إن الإجابة السريعة عن هذا السؤال تلجأ إلى القول: إنهما ينطلقان من مكان واحد، فلا مجتمع من دون لغة صنعها على مر تاريخه ولا لغة من دون مجتمع أي من دون أفراد يصنعونها تبعاً لحاجاتهم، ويتداولونها ويؤصلونها لتصبح جزءاً من تكونهم. وهو ما ارتكز عليه ابن جني في تعريفه اللغة بقوله:"اللغة اصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(9).

وأمّا ما يخص اللغة العربية، فإننا نجد أنها مرت –على امتداد مراحلها التاريخية – بتحديات ثقافية وأيديولوجية كبيرة جدًا ومعقدة، بسبب ما تتضمنه من موقف عقائدي وتراثي إنساني يجمع تحت خيمته ثقافات متعددة، كالفارسية والرومية، فضلاً عن انتماءاتها الإقليمية التي ورثتها من حضارات العراق القديم والحضارة الفرعونية والحضارة الفينيقية وغيرها، إلى جانب الشعوب المتنوعة التي مرت بالمنطقة العربية خلال تاريخها الطويل، فهي لغة تنتمي إليها ثقافات متعددة تجعلها لا تنتمي إلى أي أيديولوجيا قومية عنصرية بطبيعتها التاريخية والثقافية. فالقومية العربية قومية متعددة منذ أصولها الأولى.

5 - الصراع اللغوي:

إن من أهم وظائف اللغة هي : عملية الاتصال مع أفراد المجتمع ، ولابد لأي مجتمع بشري من لغة يسلكها كي تسير الحياة طبيعية ؛ صوتية أو غير صوتية كالرموز والإشارات وغيرها ، والمهم هو اللغة التي تقوم على الأصوات اللغوية الإنسابة. وبنظرة تاريخية سريعة نلاحظ أن اللغات على مر العصور لم تكن على وتيرة واحدة بل يعتريها ما يعتريها من تغير وتطور وبقاء واندثار لها أو لبعضها ، وهذه سنة الحياة المتلازمة مع طبيعة البشر. ولذلك عوامل كثيرة منها(الصراع اللغوي) الذي له حالات يمكن الإشارة إليها بشكل سريع، وهي:

أ- صراع بين لغة وأخرى أجنبية.

ب- صراع بين لغة وأخرى داخل لغة واحدة(لهجات).

ت-صراع بين لغة مثالية وأخرى عامية في داخل لغة واحدة.

والتاريخ القديم والحديث يشيران إلى شيء من ذلك. فمن الحالة الأولى: تغلب لغة على أخرى سواء أكانت من فصيلة واحدة أم من فصيلتين مختلفتين؟ فمن النوع الأول تغلب لغة العرب على كثير من اللغات السامية الأخرى . ومن النوع الثاني الهرام لغة البلغاريين أمام لغة شعوب الصقالة. وقد لا تتغلب إحداهما على الأخرى وإنما يحدث تأثر وتأثير بينهما، كما حصل للعربية مع اللغة الفارسية والإسبانية والأوردية .... ومن الحالة الثانية ما حدث في اللغة العربية نفسها من صراع بين عدة لهجات عربية متفرقة كانت الغلبة في النهاية للغة قريش العوامل كثيرة(دينية وسياسية...). وأما ما يتعلق بالحالة الثالثة فنجده ماثلا في واقع اللغة العربية كما في العصر الحديث؛ اذ إن اللغة الفصحى مقصورة في جواب معينة من الاستخدام اللغوي، بينما العامية لها ظهورها وحضورها في أماكن ومواقع حيوية: كانتشارها على السنة العامة، وفي الإعلام بمجالاته المختلفة، مما يدل على وجود صراع واضح بين الفصحى والعامية التي سيطرت على واقع المجتمعات العربية. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ان الفصحى تواجه مواقف نفسية مع متكلمها باتهامها بالصعوبة وعدم صلاحيتها للواقع، ولا أدل على ذلك من تلك الحشود الكبيرة التي تصطف عند الأمسيات الشعرية الشعبية والتي تتابع كذلك المجلات التي تعنى بالشعر الشعبي، بينما في المقابل لا نجد ذلك في الأمسيات التي تحيا بالفصحى؛ مما يدل على أن الذوق الفني والإبداع اللغوي الراقي يشهد اختصارا ملموسا: إذ لو ارتقت الأذواق لوجدنا الشعر في الفصحى له رواده ومرتادوه، كما يشهد التاريخ بذلك في سالف الأيام. إن الحالات السابقة الثلاث نلمس منها في واقعنا المعاصر الأولى والثالثة، ففي الحالة الأولى نجد أن اللغة العربية تواجه صراعا لغويا في الأقطار العربية مع عدة لغات أجنبية ؛ كما يحصل لها في المغرب العربي مع اللغة الفرنسية،

وفي دول الخليج العربي مع اللغة الإنجليزية، وأما الحالة الثانية فيمكن تعميمها ومن دون استثناء على جميع الدول العربية التي يحدث فيها صراع لغوي بين العامية والفصحى(10).

فالملاحظ أن وظائف اللغة التسع جميعها(الوظيفة، والتنظيمية، والنفعية، والتفاعلية، والشخصية، والاستكشافية، والتخيلية، والبيانية، والتلاعب باللغة، والشعائرة)، تدور حول التفاعل الاجتماعي او العلاقات الاجتماعية التي تربط الفرد بالجماعة. فهي بذلك تدور في فلك الوظيفة الاجتماعية التواصل، وفي ذلك يقول عمر عبيد حسنة: وطالما أن اللغة في زعم بعضهم وسيلة تخاطب وتوصيل فلا يهم أن تكون اية لغة، أو اية لهجة، او اية ترجمة .... ولا يهم أن تسود العاميات، لان الأصل أن يتفاهم بها الناس حتى لو كانت سببا في انقطاع الأمة عن مخزونها التراثي والتاريخي ورصيدها العلمي والغاء ذاكرتها، وتوقف النقل الثقافي بين اجيالها"، وذلك كله ناتج عن علاقة التاثير بين علم اللغة وعلم الاجتماع، كما ظهرت نظرية فيرث السياقية وعلاقتها بعلم اللغة الاجتماعي فقد سميت مدرسة كل من فيرث ودي سوسير بالمدرسة الاجتماعية، اذ أسسها فيرث، واشتهر برفضه كل المناهج والأساليب التقليدية في بحث اللغة، وابتكر لنفسه منهجا يمتاز بالبعد عن كل الأفكار الفلسفية والمنطقية والنفسية، مما يعد أجنبيا عن التفكير اللغوي الذي ارتضاه"، ونظرية السياق تمثل امتداداً لعلاقة اللغة بعلم الاجتماع اللغوي، لان السياق يقوم على معطيات خارجية بالنسبة للنظام اللغوي، فاللغة عند دي سوسير ملك للجماعة اللغوية ونشأت عن الاجتماع البشري، واللسانيات الفيرثية تسعى الى أن تمد في التحليل اللساني بعدا يجتاز المدى الذي بلغه علم اللسان الحديث، اذ تسعى الى توسيع مجال علم اللغة ليشمل المعطيات الاجتماعية المحيطة باللغة والتي يستلزمها الأداء اللغوي(11).

6 - اللغة والمجتمع:

من الثابت أن بنية أية لغة من اللغات ذات علاقة بعقلية المتكلمين بها، وبنظمهم وبحضارتهم. وان جانب العناصر الموروثة في كل حالة من حالات اللغة نجد الكثير. فالتغير الكامل في مجتمع يصطنع لغة ما لا يستلزم بالضرورة تغيرا في بنية هذه اللغة: فالمجتمع الروسي قد قلب أيما قلب في القرن العشرين ، ولكن اللغة الروسية احتفظت ببنيتها القديمة، ولقد أدت مناقشة قامت في الاتحاد السوفيتي في سنة 1950 واشترك فيها(ج ستالين) إلى هذه النتيجة: إن اللغة لا يمكن عدّها في مجموعها(بنية عليا)، يحددها في مجموعها(البنية السفلى)، الاقتصادية والاجتماعية(12).

وتعد اللغة أداة للتفاهم في داخل أصغر تجمع بشري تمكن أفراده من التعاون على توفير مقومات الحياة من غذاء ومأوى وملبس، وهي نمطاً مهماً من الأنماط الثقافية التي تتكون من خلالها ثقافة مجتمع ما بل يعدها الانثروبولوجين أهم هذه الأنماط بعد الوعاء الذي يحتوي جميع الأنماط الثقافية وسماتها، وهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي عند اليونان والرومان تعني الوعاء للفكر أو مرأة عاكسة له، وعند الفلاسفة وأهل المنطق هي وسيلة للاتصال أو لنقل الافكار والعواطف والرغبات بواسطة أصوات أو رموز صوتية، وهي بذلك تمثل(العقل الجمعي) ونظام التواصل اللفظي الذي يستخدمه البشر ويتسم بدرجة عالية من التخصص والتقدم المستقل وبأسلوب معقد يعتمد على الرمز واللغة بغض النظر عن أنواعها هي ظاهرة عقلية وعضوية خاصة بالإنسان من دون غيره من الكائنات الحية، فهي صفة مميزة للنوع البشري، ومن خلالها يقوم العقل الإنساني بالعمليات التفكيرية بمختلف أشكالها وتنطبق بكل مواصفاتها على مجتمعات البشر جميعاً بما فيها من رمزية ومورفولوجيا ومعان وغير ذلك من الخصائص، ووسيلة فذة تخدم المجتمع وتؤدي إلى تجميع ونقل حضارته والمحافظة على وحدته القومية عن طريق المشاركة فيها، وعند علماء اللغة الاجتماعيين يعدونها وظيفيا هي صبغة كلامية عليا توظف في الاتصال الاجتماعي العام بين المتحدثين بلهجات مختلفة وهي روح الأمة وحياتها، وتمثل أهم عناصر القومية، واللغة التي ينشأ عليها الإنسان تكيف عقله وتفكيره وذوقه تكييفاً معيناً، وتوجه عواطفه ومشاعره توجيها خاصاً، وأجمع العديد من علماء اللغة أنها لها أثراً كبيراً في التفكير وقابلة للتغير والانتقال من حال إلى حال شانها في ذلك شأن أي شيء في الوجود مادياً(13).

لقد حظيت اللغة العربية بما لم تحظ به لغة اخرى من اللغات من حيث الاهتمام والرعاية; أنها لغة القرآن، وتدين بها شعوب عديدة، وتتكلمها أمة أضحت تمتلك قوة مادية وأدبية مما يجعلها محط أنظار العالم، ويدفع الدول الأجنبية لمحاولة

إتقانها بغية التفاهم والتلاقي في ميادين الحياة والاقتصاد والعلم والتجارة.(14) لأن اللغة العربية تشغل مركزاً جغرافياً مهما في العالم، ولها تاريخ طويل عبر القرون، في الأقل هي لغة حديث وأدب، وعلم، أدت مهمتها عبر عصورها التاريخية، فضلا عن ذلك ما للغة العربية من دور في توحيد الأمة وحفظ كيانها، فضلاً عن أنها لغة التعليم، بما يتلقى المتعلمون معارفهم، وما يتواصلون ويفكرون، ويسجلون ،خواطرهم وأفكارهم وخطبهم، وأشعارهم، وأنظمتهم وقوانينهم (15).

لقد عرف المجتمع الإنساني اللغة منذ نشأته، فهي عمر الإنسان على الأرض، فاللغة ظاهرة اجتماعية تميز الإنسان عن الكائنات الأخرى اختص بها، فأتاحت له أن يكوّن مجتمعا وأن يقيم حضارة، لذا فاللغة والمجتمع والحضارة ظواهر متداخلة متكاملة، فقد أثار كثير من المفكرين على مدى القرون قضية اللغة والفكر أيهما أسبق من الآخر، و لكن البحث الحديث يحاول أن يبتعد عن هذه الدائرة المفرغة من التساؤلات عن قضايا يصعب حسمها ليثبت تلازم اللغة وفكر الإنسان وضرورة اللغة لقيام المجتمع وضرورة وجود مجتمع إنساني متعاون لإقامة حضارة. لاشك في أن العلاقات بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية، وتأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي في زمان ومكان معينين قائمة منذ أن وجدت اللغة، بوجود الحياة الاجتماعية، فجوهر الإنسان إنما يكمن في لغته وحياته الاجتماعية، والنظر في هذه العلاقات قديم لا ريب فيه، غير أنه لم يستو كما و نوعا وتنظيراً ومنهجا وروادا إلا في عصرنا الحاضر في ظل علم جديد من علوم اللغة أطلق عليه (علم اللغة الاجتماعي)، ولا يمكن فهم اللغة وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان و المكان المعنيين. إن هذا الارتباط بين اللغة والإنسان يخولنا أن نؤكد ان الإنسان لغة ويلزم عن هذه المقولة أن اللغة من كيان الإنسان، فلا إنسان بلا لغة، والإنسان بلا لغة لا يتمتع بالإنسانية الكاملة ولو كان عقله وأفكاره في مستوى أعلى بكثير من المستوى الحيواني، وقد أثبتت الأبحاث التي قام بها العلماء)أن العقل لا يبلغ نموه إلا بعد أن يتمكن الإنسان من النطق كل التمكن) (16).

ولقد كان لمالينوفسكي العالم الأثروبولوجي فضل كبير في تغيير النظر إلى اللغة ، فقد أدرك عندما كان يدرس بعض المجتمعات التي جرى الاصطلاح على تسميتها بالمجتمعات(البدائية) أو(الفطرية) أو (الوحشية)، أن دراسته لن تصح من دون معرفة الوظيفة التى تقوم بها اللغة في المجتمع. ومن هنا كانت نظريته المهمة في اللغة، والتى كانت بين عوامل تطور للنظر إلى علم اللغة وصل مالينوفسكي بعد دراسته لأمثال هذه المجتمعات إلى أن وظيفة اللغة ليست أنها مجرد وسيلة للتفاهم أو للتوصيل، بل وظيفة اللغة هي أنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم ، هي جزء من السلوك الإنساني، وهي ضرب من العمل وليست أداة عاكسة الفكر". واستعمال اللغة على هذه الصورة ليس قاصراً على الجماعات البدائية، بل إنه ليلاحظ في أرقى الجماعات تمدنا(17).

تعد اللغة هي العنصر الأساسي التي تعمل بوجهين، إما على الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع من خلال أداء دورها كاداة ربط بين جيل وآخر، والكشف عن عادات وتقاليد المجتمع، ومستوياته الثقافية. واما تؤدي إلى انهيار المجتمع نتيجة اشكالية التواصل اللغوي داخل المجتمع بعده الركيزة الأساسية في عملية التواصل والتفاعل، وعلى اثر ذلك أصبحت اللغة من أكثر الظواهر الانسانية تشعبا وتقيدا، بعدها نظاما معقدا من الرموز التي تحمل في طياتها معان مختلفة، اذ تعد من أهم المنافذ المستخدمة من أجل الولوج الى عمق الثقافة والبنية الاجتماعية، لتكون بذلك واحدة من أهم العوامل الأساسية في تكوين وبناء المجتمع، فشارك بدور فعال في تحديد الهوية الجماعية للمجموعة البشرية التي تتحدث بها هذا الذي يؤكد وجود علاقة تكامل بين علم اللغة وعلم الاجتماع ، اي بين اللغة والمجتمع ، فهما وجهان لعملة واحدة. كما أن اللغة تعد أهم مدخل لدراسة الانسان والمجتمع، فالانسان بولد مزودا بجهاز النطق وأعضائه، ولديه الاستعداد القطري للقدرة على الكلام، فهو لا يستطيع النطق الا اذا كان يعيش في مجتمع ما، مع أن الانسان مستعد بفطرته للكلام، فلا يظهر اي اثر لذلك الاستعداد الا في المجتمع الانساني. والبحث في علاقة اللغة بالمجتمع من خلال التكامل المعرفي بينهما بلور ما يعرف بعلم اللغة الاجتماعي . الذي يهدف إلى دراسة علاقة اللغة بالمجتمع، وعدها علاقة تأثير وتأثر وبمعني أخر هو البحث في كيفية تأثير اللغة في المجتمع، وكيف يؤثر هو فيها، على هذا الأساس يعرف علم اللغة الاجتماعي دراسة للغة في علاقتها بالمجتمع، يقول اللغوي فندرس" كما الأداة التي يمكن أن تكون أكثر كفاءة من اللغة في تأكيد خصائص الجماعة؟ اذ هي في مرونتها

ويسرها وامتلائها بالظلال الدقيقة للمعاني تصلح لاستعمالات متشعبة، وتقف موقف الرابطة التي توحد أعضاء الجماعة، فتكون العلامة التي بها يعرفون، والنسب الذي اليه ينتسبون(18).

7 - العناية باللغة ضرورة للحفاظ على هوية الامة ووحدتها:

إذا كانت اللغة إحدى مكونات الهوية لأية حضارة إنسانية، فإن اللغة العربية – من دون شك - من أهم مكونات الحضارة العربية الإسلامية(فمنذ فجر تاريخ هذه العربية لم ينقطع حتى الآن استعمالها في الألسن الناطقة بالضاد، وساعد على استمرار هذا الوجود ذلك التراث الأدبي العظيم، وفي قمته القرآن تلكم المعجزة البيانية الخالدة التي كفلت للفصحى طول العمر، كما منحتها استقرارا في الصورة اللفظية والتعبيرية على مدى القرون). ومن هنا تأتي أهمية الحفاظ عليها والعناية بها، فهي رابطة من أقوى الروابط بين أبناء الأمة العربية، ولولاها ما تواصل عراقي بمصري، ولا سعودي بسوري، ولولاها ما انتفع الشامي بالتراث المصري ولا المصري بالتراث الشامي فهي جامعة الأمة العربية، ووعاء الوحي السماوي، وحافظة الحضارة العربية الإسلامية في أزهى عصورها.(19)

8 - دور اللغة العربية في وحدة الأمة، وبناء الحضارة العربية الإسلامية

تعتمد الأمة في تحقيق وحدتها على عدد من العوامل، من أهمها: (20)

أ-العامل الطبيعي الذي يعني اتصال المنطقة الجغرافية بعضها ببعض من دون حواجز طبيعية.

ب-العامل الديني، الذي يعمل على جمع كلمة أبناء الأمة، فديانتهم واحدة، وشعائرهم واحدة، ومعتقدهم واحد.

ت- ثم يأتي دور اللغة، تلك التي تعمل على أن يكون تفكير أبناء الأمة الناطقة بها واحداً ويمكن أن تؤدي اللغة العربية دورها في هذه الوحدة المنشودة من خلال ما تتمتع به من ميزات وخصائص تمكنها من القيام بالدور المنوط بها.

ثالثا - الاستنتاجات والتوصيات

1 - الاستنتاجات:

وتتضمن ما ياتي:

أ- تحظى اللغة العربية باهمية كبيرة لم تحظ بها اية لغة اخرى فهي لغة القرآن الكريم وتتكلمها امة اضحت تمتلك قوة مادية وادبية مما يجعلها محط انظار العالم.

ب- للغة العربية اهمية كبيرة في توحيد الامة وحفظ كيانها.

ت- للغة العربية اهمية كبيرة في الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه من خلال اداء دورها كاداة ربط بين الاجيال والكشف عن عادات وتقاليد المجتمع.

2 - التوصيات:

وتتضمن ما ياتي:

أ- نشر الوعي بأهمية اللغة العربية وضرورة الحفاظ عليها.

ب- التحذير من تأثير المصححات اللغوية الموجودة في أجهزة الحواسب الشخصية ومواقع التواصل الاجتماعي على المستخدمين لها.

ت- ينبغي على وسائل الإعلام القيام بدورها التوعوي بالشكل المطلوب من بث البرامج التعليمية والتثقيفية التي تساعد على بيان اهمية اللغة العربية في المجتمع.

الهوامش

1. جبارة، محمد موسى السعيد، " اللغة العربية ودورها في وحدة الامة"، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، العدد الخامس والثلاثون، ص4899.
2. عمر، عبد المجيد الطيب، "منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة- دراسة تقابلية"، اطروحة دكتوراه في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة ام درمان الاسلامية، 2010.
3. حطيم، علي حسين، " اللغة والجماعات الاجتماعية في سلم التطور الحضاري(رؤية انثرويولوجية)"، مجلة آداب المستنصرية, 2015, المجلد 38, العدد 68, ص1.
4. الخصائص 33/1، تحقيق: محمد علي النجار، ط3 ، 1408هـ 1988م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
5. ينظر: مدخل إلى علم اللغة الحديث من 15 وما بعدها، ط1، 1423هـ 2003م، علم اللغة نظرة عربية د حسن جبل ، ص 61 وما بعدها.
6. زغير، جبار اهليل، " اصل اللغة بين ابن جني وجان جاك روسو"، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد الثامن - السنة الر ابعة – 2013، ص 220.
7. كمال بشر، "علم اللغة الاجتماعي"، دار غريب للطباعة ط 1994 ،ص 28.
8. السعران، محمود، "اللغة والمجتمع- راى ومنهج"، ط 1، الاسكندرية، 1963، ص58.
9. الضبيب، أحمد ، " اللغة العربية في عصر العولمة"، ط 1 ، الرياض مكتبة العبيكان،2000م.
10. الدبيان، ابراهيم بن علي، "الصراع اللغوي"، بحث مقدم لمؤتمر علم اللغة الثالث(التعليم باللغات الاجنبية في العالم العربي) 1427/1/17-16هـ
11. عمر اني، اسيا ،"التكامل المعرفي بين اللغة والمجتمع- دراسة معرفية وصفية" ،مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية المجلد (29) العدد (1) المن الأول عده خاص بالمؤشر لعام 2022 ، ص320.
12. السعران، محمود، "اللغة والمجتمع- رأي ومنهج"، ط 1، الاسكندرية، 1963، ص95.
13. حطيم، علي حسين، " اللغة والجماعات الاجتماعية في سلم التطور الحضاري(رؤية انثرويولوجية)"، مجلة آداب المستنصرية, 2015, المجلد 38, العدد 68, ص3.
14. تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (قضايا وتجارب) وثائق وبحوث اجتماع مديري المعاهد العربية المنصبصة في إعداد معلمي اللغة العربية وتدريسها لغير الناطقين بهاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1412هـ (1991م)، ص 41.
15. محسن علي عطية تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأنانية على دار المناهج للنشر والتوزيع، ط 1، 1427هـ(2007م)، ص38.
16. شلواش، سمراء، "جدلية اللغة والمجتمع"، رسالة ماجستير في اللغة والادب العربي، كلية الاداب، جامعة العربي بن مهيدي- ام البواقي، 2015.
17. السعران، محمود، "اللغة والمجتمع- راى ومنهج"، ط 1، الاسكندرية، 1963، ص17.
18. عمر اني، اسيا ،"التكامل المعرفي بين اللغة والمجتمع- دراسة معرفية وصفية" ،مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية المجلد (29) العدد (1) المن الأول عده خاص بالمؤشر لعام 2022، ص ص317-316
19. جبارة، محمد موسى السعيد، " اللغة العربية ودورها في وحدة الامة"، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، العدد الخامس والثلاثون، ص40 - 49.
20. جبارة، مصدر سابق، ص ن.

المصادر

- القرآن الكريم
1 - الضبيب، أحمد،" اللغة العربية في عصر العولمة"، ط 1 ، الرياض مكتبة العبيكان، (2000م).
2 - الدبيان، ابراهيم بن علي، "الصراع اللغوي"، حث مقدم لمؤتمر علم اللغة الثالث(التعليم باللغات الاجنبية في العالم العربي) 1427/1/17-16هـ
3 - السعران، محمود، "اللغة والمجتمع- راى ومنهج"، ط 1، الاسكندرية، 1963.
4 - الازهري، اسلام بن نصر، " اثر اللغة العربية في تكوين الشخصية العلمية ".
5 - أمارتيا صن، "الهوية والعنف: وهم المصير الحتمي"، ترجمة سحر توفيق، عالم المعرفة 352، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 2008 .
6 - بدرية، نهاد عبد الفتاح، (دور اللغة العربية في وحدة الامة)،مجلة جامعة فلسطين للابحاث والدراسات، المجلد السابع، العدد الرابع، 2018.
7 - تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (قضايا وتجارب) وثائق وبحوث اجتماع مديري المعاهد العربية المنصبصة في إعداد معلمي اللغة العربية وتدريسها لغير الناطقين بهاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1412هـ (1991م).
8 - جباره، محمد موسى السعيد، " اللغة العربية ودورها في وحدة الامة"، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، العدد الخامس والثلاثون.
9 - جبارة، محمد جاسم"اللغة العربية و أيديولوجية الوحدة"، مجلة تبين، العدد 14/4، خريف 2015.
10 - حطيم، علي حسين، " اللغة والجماعات الاجتماعية في سلم التطور الحضاري(رؤية انثروبولوجية)"، مجلة آداب المستنصرية, 2015, المجلد 38, العدد 68.
11 - لواش، سمراء، "جدلية اللغة والمجتمع"، رسالة ماجستير في اللغة والادب العربي، كلية الاداب، جامعة العربي بن مهيدي- ام البواقي، 2015.
12 - زغير، جبار اهليل، " اصل اللغة بين ابن جني وجان جاك روسو"، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد الثامن - السنة الرابعة – 2013.
13 - عمراني، اسيا ،"التكامل المعرفي بين اللغة والمجتمع- دراسة معرفية وصفية" ،مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية المجلد (29) العدد (1) المن الأول عدد خاص بالمؤشر لعام 2022 .
14 - عمر ، عبد المجيد الطيب، "منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة- دراسة تقابلية"، اطروحة دكتوراه في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة ام درمان الاسلامية، 2010.
15 - محسن علي عطية تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأنانية على دار المناهج للنشر والتوزيع، ط 1، 1427هـ(2007م).
16 - محمد مشوق، فارس البدر، (دور اللغة العربية في وحدة الامة).
17 - كمال بشر، "علم اللغة الاجتماعي"، دار غريب للطباعة ط 1994.
18 - يونس، محمد مصطفى احمد، "لغة الطفل- دراسة تطبيقية على اطفال الرياض والمرحلة الابتدائية في ريف مركز يوسف الصديق بمحافظة الفيوم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة "رسالة ماجستير في علم اللغة والدراسات السامية، كلية دار العلوم ، جامعة الفيوم، 2010م.
19 - الخصائص 33/1، تحقيق: محمد علي النجار، ط3 ، 1408هـ 1988م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
20 - مدخل إلى علم اللغة الحديث من 15 وما بعدها، ط1، 1423هـ 2003م، علم اللغة نظرة عربية د حسن جبل .